17 لماذا يدعو البعض إلى التطبيع مع إسرائيل

منذ اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل ١٩٧٩ لم يعد هناك حرج من أن يطالب البعض علناً بالصلح مع إسرائيل، بعد أن كان مجرد الهمس بهذا الحديث من الخطايا الدينية والجنائية والسياسية والاجتماعية. ولمزيد من تصور الموقف فإن الأفواج الأولى من العاملين في السفارة المصرية في تل أبيب قد وجدوا مع جيرانهم وأقاربهم في مصر حرجاً ومقاطعة ومخاصمة حقيقية لقبولهم العمل «عند العدو». ومعلوم أن الاستماع إلى راديو إسرائيل طوال الخمسينات والستينات كان يستوجب العقاب في القانون المصري. أما الذين تنسب لهم إجراء محادثات من كبار السياسيين فكانوا خونة في حق الأمة. ولذلك لاتزال إسرائيل تحاول أن تلوث صورة جمال عبد الناصر التي تزداد نصاعة مع تدهور الأوضاع العربية أمام إسرائيل بخلق معلومات عن اتصالات كانت تجري معه من أجل إبرام الصلح معها خاصة بعد النكسة الكبرى عام ١٩٦٧.

هذا هو المناخ العام الذي ساد عام ١٩٧٧ عندما فاجأنا الرئيس السادات بزيارته للقدس، وسوف يظل الخلاف إلى قيام الساعة بين مختلف الفرق، فمن قائل أن السادات كان بعيد النظر ولو ظل مربوطاً بالعالم العربي لظلت سيناء حتى الآن في يد إسرائيل، علماً بأن هذا الطرح غير دقيق من وجهة عملية كما أن ما قام به السادات هو الذي مكن إسرائيل من بقية فلسطين والأراضي الفلسطينية وقلب

معادلة القوة العربية. الفريق الآخر يرى أن السادات خائن وعميل لأنه ضرب الآمال العربية في الصميم ومكن السرطان الصهيوني من الجسد العربي، بينما رأى فريق ثالث أنه جاهل بحقيقة المشروع الصهيوني الذي لا يقبل بسلاماً طبيعياً لأن المشروع بطبيعته هدفه تمزيق الأمة وتفتيتها فلا يمكن التعايش معه والصراع معه معادلة صفرية: إما نحن وإما هم، وهذا ما تكشف خلال الثلاثين عاماً التالية حيث تدهورت مصر داخلياً وإقليمياً بما أعطى هذا المشروع المزيد من أوراق القوة بعد تخدير رأس الجسد العربي وقيادته.

هذه المناقشة بالتحديد هي نفسها التي تدور اليوم مع تجاسر أنصار التطبيع وتولي معظمهم مقاليد الأمور في مصر إعلامياً وسياسياً ثم ثارت الضجة أخيراً بمناسبة استقبال رئيس تحرير مجلة الديموقراطية سفير إسرائيل في مكتبه في الأهرام، وهي واقفة في ذاتها وتوقيتها تعني أكثر من رسالة، الأولى أن السفير ليس معزولاً في مصر كما يشاع بل له أصدقاء يتباهون بصداقته وأن الدولة المصرية نفسها هي التي رتبت اللقاء في مكتب الأهرام بما يتطلبه ذلك من إجراءات أمنية، وأن قيادة الأهرام ورئيس نقابة الصحفيين هم من الشخصيات المؤيدين تماماً للتطبيع، وربما لهذا السبب أساساً تقلدا هذه المناصب بعد أن تم إقصاء كل الوطنيين المعارضين للتطبيع من القيادة بكل مستوياتها. وقد سمعت تبريراً ظريفاً من صديق وهو : أن الدولة تعمدت في زخم معركة فاروق حسني في اليونسكو أن ترسل رسالة لإسرائيل والمنظمات اليهودية المعارضة له حتى تطمئن إلى أنه ليس ضد التطبيع وأن الدولة لديها المزيد من صور التطبيع وكأن ما تقوم به في معبر رفح وبيع الغاز وخسران مبالغ طائلة من فرق الأسعار وارتباط ذلك كله بعمليات فساد معقدة ليس النظام بعيداً عنها، لم تكف إسرائيل.

عند هذا الحد يمكن أن نحدد دوافع مؤيدي التطبيع وهي ستة: الدافع الأول:

هو أن البعض يعتقد أن مساندة التطبيع هو كلمة السر إلى مناصب القيادة والرضا، الدافع الثاني: هو اقتناع البعض بأن المقاطعة لن تجدي أمام قوة إسرائيل، الدافع الثالث: هو الاعتقاد بأن الليبرالية تفرض المرونة في سبيل شيء وكسر اللاءات المقيدة للحركة. الدافع الرابع: الذي رآه البعض مؤخراً بشكل واضح هو أن الانفتاح على إسرائيل يكسبنا أرضية جديدة عند النخبة الإسرائيلية، رغم أنه يدرك أن منظمات السلام وغيرها تعمل على امتصاص الثقة من المشروع، وهي تعمل في إطاره وليس خارجه. الدافع الخامس: هو قناعة البعض بأنه إذا كان الاعتراف قائماً فإن التطبيع تحصيل حاصل، وأن معارضة التطبيع هو نفاق لا يحتمل، ورقص في منتصف الطريق. أما الدافع السادس: فهو تجنيد إسرائيل لبعض الشخصيات لدفع التطبيع قدماً خاصة في مجال العمل العام الذي يؤثر على قبول إسرائيل.

والطريف أن الدعوة إلى التطبيع تنتعش في الأوقات التي تتعرض فيها إسرائيل في الغرب للنقد خاصة بعد محرقة غزة وربما كان الهدف هو تحقيق الضغط على إسرائيل وصرف الانتباه عن معركة العالم كله مع انحطاط الأخلاق الصهيونية.

والطريف أيضاً أن كل المؤيدين للتطبيع بلا استثناء مؤيدون أيضاً للسياسات الأمريكية ويعتبرون واشنطن قبلتهم، ومن أشد المهاجمين للمقاومة ويدينونها في كل مناسبة. وقد أتيح لنا أن ندرس هاتين النقطتين بشكل استقصائي بحيث تأكد لنا أن المطبع أمريكي الهوى، خانق على المقاومة مشفق على جرائم إسرائيل تتقطع نياط قلبه مع كل نقد لها حتى من خارج المنطقة.

وسواء دعي سفير إسرائيل إلى الأهرام أو إلى غيره من مكاتب الكتبة الذين تضمهم الدولة، فسوف يظل سفير مشروع سرطاني يسهر هو نفسه على أن يقضي على الجسر العربي، وتلك أمانيهم ولكن الله ينصر من ينصره وهو الغالب على أمره.